بَدأة التاريخ

إلى أين نحن نسير ؟ وإلى ماذا نحن نسعى ؟

العالم من حولنا منشطر بين من هو منشغل بالعالم يفعل به مايريد، يهدف إلى السيطرة وإخضاع الآخرين، يعمل فيه الفرد في بيئة مفتوحة واسعة لاحدود لها ، وفاعلة تزداد حراكاً كلماتسعت، الفرد تنخلق منه الدولة، ويكف فيها عن الخضوع للذى لايراه والذى يعلو الكون وما وراءه، ويشتاق إليه فقط فى دور العرض السينمائى .. لا أكثر، يتجه إلي إلغاء دور القدر فى حياته ... لأنه بالتطور العلمى المعقد أصبح يعرف مالم يكن معروفاً من قبل، وماكان فى بطن الغيب ويد القدر، بل أثبت صحة قياساته الكونية عندما استطاع رصد سقوط أحد المذنبات على سطح المشترى بكل تفصيل ودقة متناهية وبقدرة فائقة، الفرد ينتزع مسار مستقبله من قبضة المؤسسات الميتافيزيقية، ويكون قادراً على التنبؤ بالمستقبل وبمسار حياته وحياة أسرته فى واقع انهارت فيه الحدود وانفجرت منه ثورة الاتصالات وافتضحت الأسرار التكنولوجية بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، وظهور قوة الغرب الأوربية فى وحدة هائلة من الإقتصاد والمعلومات . الفرد يحترم مسببات تطوره أفراد شهداء ضحوا فى سبيل تحريره وعلماء ساهموا فى تنويره ، ومفكرون لم يخدعوه وملوك استوصوا به

خيراً وقضاة حكموا بالعدل والحرية لاعن ماضوية وتقديس ولكن عن رؤية تؤمن الدخول إلى المستقبل فى يسر وسهولة.

ثم أن العالم منشطر بين من هو منشغل فيما وراء الطبيعة والواقع والعالم والكون، منشغل بالخرافة والانخضاع لها ولأدواتها التى لم تعد أبداً مع تعقد العالم هى المؤسسة الدينية، بل هى النخبة الحاكمة العسكرية التى تمارس كافة أشكال الكهنوت وتتخذ من المؤسسات الثقافية والتعليمية والإعلامية والاقتصادية والدينية أداة لتمارس فاعليتها وطموحاتها، وتلعب فيه النخبة دور الوسيط بين القوى الاقتصادية العالمية وبين المستهلك المطحون الذى يطمح فقط فى التكافل بين أقرانه ولاينال المساواة، فهو دائماً فى أسفل السلم، مفعول فيه، وموجه، تنال منه قوى النفوذ العالمية، بقدر ماتنال منه نخبته التى تتبع نظرياتها فى الديمقراطية من نظرية أمنها، والحفاظ على بقائها واستمرارها فى أعلى السلم .

فى الشطر الأول يعيش المجتمع حالة هدوء بعيداً عن تحكمات الأيديولوجيا فى مصائره، ويتجه إلى الوحدة والتكتل الاقتصادى، دائم البحث عن تطوير ذاته ليستوعب كل أفراد المجتمع داخل نظامه بالطرق الديمقراطية الشرعية التى تسمح بتداول السلطة بالوسائل السلمية طبقاً لحيثيات العملية الديمقراطية والنظام الديمقراطى ... يعيش فيه كل الأفراد فى أمان اجتماعى مدنى تحت قانون يحمى كرامة أفراده وأمنهم وحريتهم حتى أقصى بقاع الأرض التى تستطيع قواتهم الخاصة أن تصل إليها، الفرد يحقق ذاته فى الداخل، وفى الخارج كما يشاء لاحدود لأطماعه التى تحميها الأساطيل ووسائل الردع وأسلحة الدمار الشامل الذرية والكيميائية والبيولوجية والليزر الجاهز للمحو والفناء ... ويزيد عليهم دولة الولايات المتحدة التى قامت على محو الآخر واستعباده وسحقه وإفنائه، والتى شارك فى نشأتها عصابات المجرمين والقراصنة واستمرت كذلك والعامل الحاسم فى هذا الشطر هو ممارسة سياسة نفعية للعامل الاقتصادى فيها الرأى النهائى والذى يغذى كل نوازع الجشع والاستحواذ داخل نواتهم، كما يغذى كافة السياسات الأخرى التى تستهدف إسقاط القوى الاقتصادية للآخر المنافس لها وتحويله إلى أدوات استهلاكية يسهل ابتلاعها كيفما وحينما يبتغون ذلك .

وحينما يقور هذا الشطر الأول على نفسه ويمتلئ بالطمع

ويتفجر بالجشع فإنه إما يفور على الأخر فى شكل حروب صليبية واستعمار شرس واستعباد للبشر وإما ينفجر من داخله فتظهر النازية والفاشية والشيوعية وتقتل الملايين من البشر من داخلهم ومعهم الآخر أيضاً لايرحمونه ولا يعتقونه ثم أنهم رغم كل ذلك لايشبعون دموية ولا حرباً ولا استعباداً للآخرين فسرعان ما تسعى القوى اليمينية إلى الحكم حتى فى أعتى الديمقراطيات صاحبة شعار الحرية والإخاء والمساواة - فرنسا- والآن يزداد الشطر الأول شراسة وبغياً بظهور هذه القوى اليمينية وسعيها الحثيث إلى اعتلاء سلطة الحكم والسيطرة علي مقدرات العالم .

الآن يبدأ نوع جديد من السيطرة على مقدرات العالم يعتمد على الاستعمار العلمى والتكنولوجى سيكون من أهم آثاره المدمرة للبشرية تحويل شعوب ، بأكملها ، تحت تهديد السلاح التكنولوجى والتحكم عن بعد ، إلى حيوانات وعبيد، ويصعب التخلص من إسارها بشكل لم يشهده العالم من قبل .

وفى الشطر الثانى تعيش الشعوب تحت تهديد دعوات مواجهة الإرهاب والدعوات الزائفة بتحقيق السلام العالمى والسلام الاجتماعى، وحرية المواطن فى خطر داهم ودائم بسبب الهوية الجماعية التى لاتظهر أهميتها إلا عندما تستشعر المؤسسات الحاكمة الخطر المعارضة مكممة بل وبعض منها يشجع السلطة على قهر وقتل وسجن وتعذيب كل من تطلق عليه السلطة الجماعات الإرهابية دون وعى، ومن أجل مكاسب وقتية لأحزابهم، لكن السلطة سرعان ماتنقض على الجميع ... ولايعى هؤلاء المعارضون أنهم كانوا بالأمس ممن تطلق عليهم السلطة الجماعات الإرهابية والتنظيمات المسلحة وعملاء الدول الخارجية .

فى الشطر الثانى حرية المواطن منسحقة تحت آلهة ديمقراطية الوسطاء التجاريين ومؤمرات البنك الدولى وصندوق النقد الدولى والمعونات الفاسدة، وتنمو رأسمالية الخراب التى تخدم المصالح الذاتية للشركاء وحسب، الإعلام حسب رغبة الحكومة، والذى يحقق أهداف الشركاء فى تحويل المواطن إلى إنسان استهلاكى، تقتله الجات ثم تكبله السلطة بقيود كهنوت الثقافة وتضعه أمام الآخر ليسهل الوصول إليه ثم يلتهمه أو يمضغه فى تلذذ .. وتنهار المؤسسات التعليمية، وتقاوم الأفكار الجديدة والمبدعة وتقف ضد

التفكير العلمى، وتسود مركزية مقيتة تتحكم فيها نخبة مدمرة فى المركز الإدارى تجر فى ذيلها المحليات المسماة بالشعبية تارة والجماهيرية تارة أخرى، والتى لاتمتلك سوى نوبات التصفيق الحاد، والارتصاص فى طوابير طويلة على الأرصفة فى انتظار القادم من العاصمة لتهتف له بكل ما أوتى لها من رشوة وجزاء . من هنا تسود سياسات التشاؤم والتوتر والقلق والتبرير والتلفيق، ويشعر المواطن باللاأهمية واللاقيمة لما يقدمه من عمل، ومهما قدم من عمل ... الفرد جزيرة معزولة، ومنعزلة يتقلقل فى جوال يحمله الحاكمون عبر دهاليز الاقتصاد ليرمونه فى مخزن بشرى هائل يسمى الوطن . يدعى فيه أن السلام والتحالف من أجل القضاء على الإرهاب هو الذى سوف يحل كل أزمات الجماهير الداخلية من انتشار المخدرات والتلوث والبيروقراطية والبطالجة فى أحياء المدن، والقبلية والتعصب فى الريف والقرى والنجوع والوديان، والصراع الطبقى والعرقى والطائفى، فى حين ينتشر الموت ويدخل الوطن فى دائرة الانتحار الجماعى، وتنهار مجموعات بأكملها من النخبة فى إسار التزييف والسلطة، ليس هذا فحسب بل لتشاركها التزييف والتشويه لكل ماهو معارض آملة فى الإجهاز عليه والجلوس على جثته تحت أقدام السلطة أو بجانب عرشها القبيح .. ثم ينتقمون أول ما ينتقمون من أصدقائهم وزملائهم الذين شاركوهم «بورشات» الزنازين، ويطيحون بهم ويسلمونهم إلى جهات الأمن وإن كانوا بهم رحماء بعض الشئ فإنهم يعصفون بهم إدارياً لينحوهم عن طريقهم نحو السعى فى الجلوس على أعتاب السلطة، ولايخجلون فى إعلانهم أن جلوسهم هذا هو نتاج كفاحهم الوطنى !!

إنها بداية عصر جديد ... القهر لن يكون كما كان من قبل ... والشجاعة لن تكون كما كانت من قبل ... ولن يكون فيه من يحارب الآخر وجهاً لوجه بسيفه ويديه .. فى شرف وعزه ، ويموت من أجل كرامة يؤمن بها ويزهو وهو يضحى بحياته ويفخر بما يقدمه للأجيال القادمة...

إنه عصر سيادة العلم والتكنولوجيا على مقدرات العالم .. انتهى عصر من يسيطر على البحر يسيطر على البر وانتهى عصر من يسيطر على البر يسيطر على البحر ... لأن من يسيطر على العلم يسيطر علي البر والبحر والفضاء ... يسيطر على الكون ... وبل

ويسيطر على مقدرات البشر ويتحكم فى مصائرهم كما يتحكم فى حيوانات التجارب داخل المعمل ، وفى العصر السالف والعصر المنقضى !!

إنها بدأة التاريخ
فإلى أين نحن نسير ؟

ويزيد علينا .. عدو صهيونى متربص بالحياة، يقبع فى أراضينا هو الابن غير الشرعى للشطر الأول ... يقتل كل يوم منا العشرات والمئات ويهاجم المدن، والقرى والنجوع ويرتكب أبشع الجرائم نهاراً جهاراً لا رادع له .. ويتمتع بكل أنواع الحماية ... مفاعلاته النووية ورؤوسه الذرية وأسلحة الدمار الشمال وحق الفيتو، ... يدخل ضمن الشطر الأول لأنه ابنه المولود سفاحاً لكى يركع المنطقة ... عدوا لايضع اعتباراً لأدنى القيم الإنسانية، وحق الآخرين فى الحياة لأن وجودهم -مجرد وجودهم- نفى له لذا فهو يتبنى مشروعاً كبيراً معادياً للإنسانية تتجذرفيه ميتافيزيقا التفوق العنصرى هذا الحلم الذى طالما راوده ليحقق فيه وحشيته ، ليثبت أنه شعب الله المختار!

فإلى ماذا نحن نسعى ؟

إن مايحدث على الحقيقة الآن ... هياج يصل بنا إلى حد فقدان الذاكرة وافتقاد الوطن ... النخبة تحارب أى محاولة للصمود وتأخذ موقفاً مضاداً لحركة الشعب على الرغم مما يمور به الوطن من حركة فاعلة تطمح طموحاً شديداً من أجل الصمود والتطور ..

إن مايحدث على الحقيقة الآن ...

إن الصفوة افتقدت الصلة بتلك الروح الزكية الغنية بالجسارة لأولئك الذين ضحوا بأرواحهم دفاعاً عن الوطن واستعادوا شرفه فى أكتوبر ١٩٧٣ ... من أبناء الشعب والطبقات التى لاتمتلك .. ملح الأرض .. الذين مايزال البعض ممن كتبت له الحياة منهم بعد التفانى والبطولة الفذه يتعرضون للقهر الاجتماعى ويعملون فى مواقع متواضعة جداً يتعرضون من خلالها إلى كافة أنواع البطش على الرغم من أنهم حطموا في أكتوبر المجيد فكرة التفوق العنصرى اليهودى المزعوم، فضلاً عن حمايتهم شرف الوطن الممتد عبر مساحات طويلة من الأرض ، والوقت، وإننا لنتذكر هنا فى حربنا

الأخيرة شعب مصر فى معركة السويس وشهدائها وأبطالها الذين كانوا خير مثال لذلك كله .

فإلى أين نحن نسير ؟
وإلى ماذا نحن نسعى ؟

هل نشارك فى العالم والتاريخ والواقع ؟ أم نخرج منه ونصبح ضمن الشعوب التى ستستعبد فى القريب العاجل ؟

إن مايحدث على الحقيقة الآن ... هو أن كل ميكرفونات السلطة من الخليج الذى لم يعد ثائراً، إلى المحيط الذى لم يعد هادراً، تعمل بغير وعى ولامنطق على تبرير دعاوى السلام المزعومة التى تهدمها كل ثانية أفعال العدو الصهيونى، والتى لايراعى أحد من أصحاب هذه الدعاوى حتى هذا التناقض الشديد بين دعاوى السلام وأفعال العدو الصهيونى، بل يضعون ستاراً كثيفاً على وجههم ليحميهم من نظرات الشعب شزراً وليحميهم من الخجل ... لكن سلام الميكرفونات مستمر فى غباء وزيف .. ولذا فإن مايحدث على الحقيقة هو أن ثقافة السلام ... هى ثقافة الاستسلام، لأن السلام الحقيقى هو عودة الحق لأصحابه فأين هؤلاء من ذلك ؟ وأين نحن منه ؟.